دور العلماء في النوازل المعاصرة

ورقة مقدمة إلى مؤتمر غزة النصر

المنعقد في مدينة إستانبول . تركيا

في الفترة من 16. 18 صفر 1430 الموافق 14.12 فبراير 2009

أعدها: د. عبد الحي يوسف

نائب رئيس هيئة علماء السودان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

المطلب الأول: دور العلماء في توعية الأمة بخطر التحالف الصهيوني الصليبي

المطلب الثاني: دور العلماء في الدفاع عن العراق المحتل

المطلب الثالث: دور العلماء في الحفاظ على المقدسات الإسلامية في فلسطين

المطلب الرابع: دور العلماء في الدفاع عن النبي ρ ضد الرسوم المسيئة

المطلب الخامس: دور العلماء في التصدي لمنع الاستنساخ

المطلب السادس: دور العلماء في بيان حقِّ الأُمةِ في الدفاعِ عن نفسِها

المطلب السابع: دور العلماء في الحفاظ على التوازن في الموقف من الجهاد

المطلب الثامن: دور العلماء عامة والاتحاد العالمي لعلماء المسلمين خاصة في نصرة غزة

الحمد لله الذي عظَّمَ أهلَ العلم تعظيما، فقال ﷻ (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) (النحل 43، والأنبياء 7).[1] وأكرَمَهم تكريماً فقال تعالى (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (آل عمران 18). وجَعَلَهم مُسْتَخْلَفِين على شَرْعِه ودينِه، يستَنْبِطُون منه الحقَّ، ويُبيّنونه للناس، ويَنْفُون عنه تحريفَ الغالِين وتأويلَ الجاهِلِين وانتِحالَ المبطِلِين (وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً) (النساء 83).[2]

والصلاة والسلام على مُعَلِّمِ البشرية الخيرَ، الذي "جَعَلَ الله شريعتَه مؤيَّدةً إلى يومِ الدِّين، ووَكَلَ بِحِفْظِها من الصحابة والتابعين مَن تَقُومُ به الحجةُ، وترتفع بقوله الشُّبْهة، وهم الفُقهاءُ الذين أَلْزَمَهم حِراسةَ شريعتِه، والتفقُّهَ في دينِه، فقال تبارك وتعالى (كُونُوا رَبَّانِيِّين بما كنتُمْ تُعلِّمُون الكتابَ وبما كنتُمْ تَدْرُسُون)،[3] وقال سبحانه (وما كان المؤمنُون لِيَنْفِرُوا كافَّةً فلولا نَفَرَ مِن كلِّ فِرْقَةٍ منهم طائفةٌ لِيَتفقَّهُوا في الدِّينِ ولِيُنْذِرُوا قومَهم إذا رجَعُوا إليهم لعلَّهم يَحْذَرُون)؛[4] فجَعَلَهم فِرْقَتَيْن أَوْجَبَ على إحداهما الجهادَ في سبيله، وعلى الأخرى التفقُّهَ في دينِه؛ لئلا ينقَطِعَ جميعُهم إلى الجهادِ فتندرِس

---

1 قال السعدي رحمه الله: "عُمُومُ هذه الآية فيها مَدْحُ أهل العلم، وأن أعلى أنواعه العلم بكتاب الله المنزل. فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم حيث أمر بسؤالهم، وأن بذلك يخرج الجاهل من التبعة، فدل على أن الله ائتمنهم على وحيه وتنزيله، وأنهم مأمورون بتزكية أنفسهم، والاتصاف بصفات الكمال. وأفضل أهل الذكر أهل هذا القرآن العظيم، فإنهم أهل الذكر على الحقيقة، وأولى من غيرهم بهذا الاسم، ولهذا قال تعالى (وَأَنزلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ) أي: القرآن الذي فيه ذكر ما يحتاج إليه العباد من أمور دينهم ودنياهم الظاهرة والباطنة، (لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نزلَ إِلَيْهِمْ)، وهذا شامل لتبيين ألفاظه وتبيين معانيه، (وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)فيه فيستخرجون من كنوزه وعلومه بحسب استعدادهم وإقبالهم عليه". تفسير السعدي 441/1. وقال رحمه الله: "وهذه الآية وإن كان سببها خاصاً بالسؤال عن حالة الرسل المتقدمين لأهل الذكر وهم أهل العلم فإنها عامة في كل مسألة من مسائل الدين أصوله وفروعه، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها أن يسأل من يعلمها؛ ففيه الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم؛ ولم يؤمر بسؤالهم إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه. وفي تخصيص السؤال بأهل الذكر والعلم نَهْيٌ عن سؤالِ المعروفِ بالجهلِ وعدَمِ العلمِ ونَهْيٌ له أنْ يتصدى لذلك". تفسير السعدي 519/1.

2 قال الطبري رحمه الله: (لعلمه الذين يستنبطونه منهم) يقول: لعلم حقيقة ذلك الخبر الذي جاءهم به، الذين يبحثون عنه ويستخرجونه (منهم) يعني: أولي الأمر، "والهاء""والميم" في قوله:"منهم"، من ذكر أولي الأمر، يقول: لعلم ذلك من أولي الأمر من يستنبطه... وعن قتادة: (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم)، يقول: إلى علمائهم (لعلمه الذين يستنبطونه منهم)، لعلمه الذين يفحصون عنه ويهمّهم ذلك... وعن ابن جريج: (ولو ردوه إلى الرسول)، حتى يكون هو الذي يخبرهم (وإلى أولي الأمر منهم) الفقه في الدين والعقل... وعن أبي العالية: (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم)، العلم (الذين يستنبطونه منهم)، يتتبعونه ويتحسسونه. وعن مجاهد: (لعلمه الذين يستنبطونه منهم)، قال: الذين يسألون عنه ويتحسسونه... وعن أبي العالية: (الذين يستنبطونه)، قال: يتحسسونه... وعن ابن عباس: (لعلمه الذين يستنبطونه منهم)، يقول: لعلمه الذين يتحسسونه منهم... وعن الضحاك يقول في قوله: (يستنبطونه منهم)، قال: يتتبعونه". تفسير الطبري 571/8-573.

3 آل عمران 79.

4 التوبة 122.

الشريعة ولا يتوفروا على طلبِ العلم فيغلب الكفار على الملة؛ فحرس بيضة الإسلام بالمجاهِدين، وحفظَ شريعةَ الإيمان بالمتعلِّمين وأمَرَ بالرجوعِ إليهم في النوازِلِ ومسألتِهم عن الحوادث ، فقال ﷻ (فاسألوا أهلَ الذِّكْرِ إنْ كنتم لا تعلمون)،[5] وقال تعالى (ولو رَدُّوه إلى الرسولِ وإلى أُولِي الأمْرِ منهم لَعَلِمَه الذين يَسْتَنْبِطُونَه منهم)،[6] وقال ﷻ (أطيعُوا الله وأطيعُوا الرسولَ وأُولِي الأمرِ منكم)،[7] وبَيَّنَ أنَّ العُلماءَ هم الذين يَخْشَوْنَ ربَّهم فقال (إنما يخشَى الله مِنْ عِبادِه العُلماءَ)،[8] وجَعَلَهم خُلَفاءَ في أرْضِه، وحُجَّتَه على عِبادِه، واكتَفَى بِهِمْ عن بَعْثِه نبياً وإرْسالِ نذيرٍ، وقَرَنَ شَهادَتَهم بِشَهادَتِه وشَهادةِ ملائكتِه، فقال (شَهِدَ الله أنه لا إلهَ إلا هو والملائكةُ وأُولُو العِلْم)،[9] وقال (هل يستَوِي الذين يَعْلَمُون والذين لا يَعْلَمُون)[10]".[11]

وبعد، فمِنْ رحمةِ الله بعبادِه أنْ اختارَ لهم أرْحَمَ عِبادِه وأحْرَصَهم على مَصالِحِهم؛ لِيُفْتُوهم ويَدُلُّوهم على ما ينفَعُهم مِن أمُورِ دينِهم ويُوجِّهونَهم في ما يقع لهم من النوازِل. وهذا موضوعُ هذه الورقة التي تتناول: (دور علماء الأمة في النوازل المعاصرة).

ورَحِمَ الله أبا جعفر الطبري فقد قال: "إنَّ لله في كلِّ نازِلةٍ وحادثةٍ حُكْمًا موجُودًا: بنصٍّ أو دلالةٍ".[12]

وقد جعَلَ العلماءُ رحمهم الله معرِفةَ أحكامِ النوازِلِ مِن شُرُوطِ الفتوى، قال الخطيب البغدادي رحمه الله: "يكون عالماً بالأحكام الشرعية، وعلمُه بها يشتمل على معرفتِه بأصولِها وارْتياضٍ بفروعِها. وأصولُ الأحكامِ في الشرع أربعة: أحدها: العِلمُ بكتاب الله على الوجهِ الذي تصِحُّ به معرفةُ ما تضمَّنَه من الأحكام: محكماً ومتشابهاً، وعموماً وخصوصاً، ومجملاً ومفسراً، وناسخاً ومنسوخا. والثاني: العلم بِسُنَّةِ رسولِ الله ﷺ الثابتة مِن أقوالِه وأفعالِه، وطُرُقِ مَجيئها في التواترِ والآحادِ، والصحة والفساد، وما كان منها على سببٍ أو إطلاق. والثالث: العلمُ بأقاويلِ السلفِ فيما أجمعُوا عليه واختلفُوا فيه ليتبع الإجماع، ويجتهد في الرأي مع الاختلاف. والرابع: العِلْمُ بالقياسِ الموجِبِ لِرَدِّ الفُرُوعِ المسكُوتِ عنها إلى الأصُولِ المنطُوقِ بها والمجمَعِ عليها؛ حتى يَجِدَ المفتِي طريقاً إلى العِلْمِ

---

5 النحل 43، والأنبياء7.

6 النساء 83

7 النساء 59.

8 فاطر 28.

9 آل عمران 18.

10 الزمر 9.

11 الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي 1/1.

12 تفسير الطبري 89/1.

بأحكامِ النوازِلِ وتمييزِ الحقِّ من الباطل. فهذا ما لا مندُوحةَ لِلمُفتِي عنه، ولا يجوزُ له الإخلالُ بشيءٍ منه".[13]

وقد ذكَرَ المفسّرون رحمهم الله في قولِه ﷻ (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلا قَلِيلا)[14] أنَّ "هذا تأديبٌ من الله لعباده عن فِعْلِهم هذا غيرِ اللائق. وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمرٌ مِن الأمورِ المهِمةِ والمصالِحِ العامةِ ما يتعلقُ بالأمن وسرورِ المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبةٌ عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعةِ ذلك الخبر، بل يردُّونه إلى الرسول وإلى أُولِي الأمرِ منهم: أهلِ الرأيِ والعلمِ والنُّصحِ والعقلِ والرَّزانة، الذين يعرفون الأُمُورَ ويعرفون المصالِحَ وضدها. فإنْ رأوا في إذاعتِه مصلحةً ونشاطاً للمؤمنين وسرورا لهم وتحرُّزاً من أعدائهم فعلوا ذلك. وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته، لم يذيعوه؛ ولهذا قال (لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة. وفي هذا دليل لقاعدة أدبية وهي أنه إذا حصل بحثٌ في أمرٍ من الأمور ينبغي أنْ يُولَّى مَنْ هو أهلٌ لذلك ويُجْعَلَ إلى أهله، ولا يُتقدَّمَ بين أيديهم؛ فإنه أقربُ إلى الصوابِ وأحْرَى للسلامةِ مِن الخطأ".[15]

المطلب الأول: دور العلماء في توعيةِ الأُمةِ بِخَطَرِ التحالُفِ الصهيوني الصليبي

وقد ظهَرَ هذا الحِلْفُ بوجهٍ سافِرٍ في عهدِ الرئيس الأمريكي بوش الابن والإدارة الأمريكية السابقة بين اليهود الصهاينة والمحافظين الجدد من الأمريكيّين. وقد كان لهذا الوَعْيِ الذي بثَّه العلماءُ كَشْفٌ لمحاربةِ الإسلامِ بدعوى مُحارَبةِ الإرهابِ وفضْحٌ لمفهومِ تقسِيمِ العالمِ الإسلامي إلى معسكَرَيْن من المعتدلِين والممانِعِين... وغير ذلك من الحربِ الإعلامية التي واجَهَها العلماءُ في وسائلِهم المتنوّعة للإعلام: من المنابرِ والإذاعاتِ والقَنواتِ والمواقِعِ الدَّعَوية النافِعة.

المطلب الثاني: دور العلماء في الدفاع عن العراق المحتل

وقد تَمَيَّزَ خِطابُ العلماءِ في التعامُلِ مع الاحتلالِ الأمريكي للعراق بالوضوح والصِّدق: حيث جاءت مواقف العلماء صريحةً ومُدِينةً للاحتلال ومُحرِّمةً للتعاونِ مع المحتلِّين. وموجبة لجهاد المحتل على كل قادر من أهل العراق، وما الموقِفُ الثابتُ لـ(جمعية علماء المسلمين) في العراق إلا نموذجٌ مِن مَواقِفِ العُلماءِ في العالمِ الإسلامي.

المطلب الثالث: دور العلماء في الحفاظ على المقدَّسات الإسلامية في فلسطين

---

13 الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي 163/3.

14 النساء 83.

15 تفسير السعدي 190/1.

وقد كان لِلعُلماءِ دورٌ كبيرٌ في التوعية بخطرِ الحفريات المتكرّرة والأنفاقِ اليهودية تحت المسجد الأقصى المبارك، ومحاولات الهدمِ في حارة المغاربة من القدس الشريف، وغير ذلك من محاولاتِ طَمْسِ الصهاينةِ مَعالِمَ المقدَّساتِ الإسلامية. ولولا لطفُ الله ثم صيحاتُ العلماء الداعِين إلى الدفاعِ عن الأقصى المبارك، وتصريحهم بِوُجوبِ المحافظةِ على المقدَّسات الإسلامية؛ لانْدَثَرَتْ كثيرٌ من هذه المعالِمِ وانطَمَسَتْ بقايا الحضارةِ الإسلامية في القُدْسِ ولَغَلَبَ عليها التهْويدُ الكامل.

المطلب الرابع: دور العلماء في الدفاع عن النبي ﷺ ضد الرسوم المسيئة

فقد كان لأهلِ العلم قصَبُ السَّبْقِ بِحَمْدِ الله تعالى في الدفاعِ عن المقام النبوي العظيم. ومن أعظمِ التوفيقِ للعلماءِ أنهم استطاعوا تحويلَ الإساءةِ الغربيةِ إلى مُساهَمةٍ إسلاميةٍ راشِدةٍ في بيان عظمةِ الهدْي النبوي ورَفْعِ ذِكْرِه الشريفِ في العالمين. وكان ثَمْرةُ جهدِ العُلماءِ في كلِّ مكانٍ حَملاتٍ مُظفَّرةً مُوَفَّقةً أحيَتْ الأُمَّةَ وأيقَظَتْ كَوامِنَ مَحبَّتِها لِلنبيِّ ﷺ، ونشراً للسِّيرةِ النبويةِ العَطِرَة والشمائلِ الكريمة بكلِّ وسائل الإعلام في العالم العربي والإسلامي والغربي. (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا).[16] ومن مظاهر ذلك إنشاء منظمة النصرة العالمية التي توافر عليها جماعة من أهل العلم المشاهير بالتضامن مع أهل الدثور من خاصة المسلمين، وكان من أعمالها الموفقة مشروع (اكتشف مُحَمَّدا) المراد منه مخاطبة الاوروبيين خاصة، وكذلك مجلة (النصرة) التي صدر منها عددان في السودان؛ بالإضافة إلى مشروع سلسلة أفلام (وانقشع الضباب) وهكذا في مسيرة للخير نرجو أن تكون ممتدة إن شاء الله

المطلب الخامس: دور العلماء في التصدي لمنع الاستنساخ

ففي حين استطاعَ بعضُ خُبَثاءِ الغربِ اختِراقَ المؤسَّساتِ الكنَسِية وتمريرَ الاستِنساخِ على أنه إنجازٌ عِلْميٌّ، عَجَزَ أدْعِياءُ العلمِ في البلاد الإسلامية عن تبنِّي هذا المشروع، وتصَدَّى أهلُ العلمِ لِمَنْعِ ذلك وبيانِ حُرْمتِه؛ فظهَرَ للناسِ تهافُتُ هذا المشرُوع وعَبَثُه وأنه في الحقيقةِ مَسْخٌ للفِطرة وتلاعُبٌ بالجيناتِ الوراثية، واعتِداءٌ على نوامِيسِ الكَوْن؛ فباءَ الاستِنْساخُ بالفَشَلِ الذريع.

المطلب السادس: دور العلماء في بيان حقِّ الأُمةِ في الدفاعِ عن نفسِها

وهذا مِن أعظَمِ الأدوارِ التي وَفَّقَ الله فيه العُلماءَ إلى القيامِ به؛ لِشِدَّةِ الضُّغوطِ الداخِلِيةِ والخارِجيةِ عليها. فقد بيَّنَ العُلماءُ أنَّ الدِّفاعَ عن النفسِ واجِبٌ شَرْعيٌّ، وأنَّ مُقاوَمةَ المحتلِّ الغاصِبِ للأرضِ حقٌّ مشرُوعٌ في كلِّ القوانين. وهذا مِن تَثبِيتِ الله لِلعُلماءِ وتَجرُّدِهم عن إرْضاءِ الناسِ وتجاوُزِهم للمطامِعِ والمخاوفِ. وهذا مِنْ أعظَمِ الجهادِ؛ لأنه كلِمةُ حقٍّ عند أعْظَمِ الامبراطُورِيَّاتِ في التاريخِ جَوْراً وتجبُّراً وتحالُفاً مع الصهاينة.

المطلب السابع: دور العلماء في الحفاظ على التوازن في الموقف من الجهاد

---

16 الأحزاب **25**.

ويتمثلُ هذا الدَّوْرُ في تبنِّي موقِفٍ وسَطٍ يحفظ حقَّ الجهادِ والمقاومة للمحتل، وفي الوقت نفسه لا يستجيب لضغوط بعض الشباب فيُزَكّي حملاتِ القتلِ بالجملةِ دون مُسَوّغٍ شرعِيّ.

المطلب الثامن: دور العلماء عامة والاتحاد العالمي لعلماءِ المسلمين في نُصْرَةِ غَزة

فقد تَمَثَّلَ دورُهم في مُخاطَبةِ الشُّعوبِ الإسلامية، وبيان حقيقة الصراعِ وحجم العدوان على غزة، ثم مُخاطَبة الحكام والملوك وتذكيرهم بواجبِهم في نُصرةِ إخوانِهم ومسؤوليتهم في إغاثة غزة وأهلها. بالإضافة إلى بيانِ العلماءِ الذي صرَّح بِحُرْمةِ مُوالاةِ العدُوِّ ومُحاصَرةِ المسلمين وتجويعِهم، وتحذيرِ مَن يُشارِك الكُفَّارَ في قتلِ إخوانِه بالرِّدَّة عن الإسلام، وقد كان لهذا البيانِ تأثيرٌ بالغٌ في زَجْرِ بعضِ الحكام عن مواقِفِهم الضعيفة في نُصْرةِ غزة. وقد أثْمَرَتْ جُهودُ العلماءِ يقظةً عظيمةً في دول العالَمِ الإسلامي كلِّه، واستجابةً كبيرةً لدعوة الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين في مسيراتِ نُصرةِ غزة، وفضح العُدوانِ والحصارِ والتجويعِ لأهلِنا في غزة.

وهذا غَيْضٌ مِن فَيْضِ أدْوارِ العُلماءِ في النوازل المعاصرة، والأمرُ أعظمُ من ذلك، جزاهم الله عن الإسلامِ خيرا، وزادهم توفيقاً وسداداً ونفعاً لأمتِهم.

والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.